الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في العلم البالغون فيه أولو الأبصار
الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب لأنهم رسخوا في العلم وعرفوا
حقيقته فأوصلهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يعني بالله ورسله يؤمنون بما أنزل إليك يعني بالقرآن
الذي أنزل إليك وما أنزل من قبلك يعني ويؤمنون بسائر الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين
ههنا قولان أحدهما أنهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني أنهم المهاجرون
والأنصار من هذه الأمة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل إليك يعني أنهم يصدقون
بالقرآن الذي أنزل إليك يا محمد وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عائشة
وأبان بن عثمان أنه غلط من الكتاب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة قال عثمان بن عفان إن في المصحف لحنا ستقيمه
العرب بألسنتهم فقيل له أفلا تغيره فقال دعوه فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من
بعدهم أنه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عن ما روي عن عثمان بن عفان وعائشة وأبان
ابن عثمان بأن هذا بعيد جدا لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون
في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم قال ابن الأنباري ما روي عن عثمان لا يصح لأنه غير
متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئا فاسدا ليصلحه غيره ولأن القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف
وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم ينظر مذاهب العرب وما لهم من النصب في الاختصاص
والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة وشواهد وربما غبي عليه أن السابقين الأولين
كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه
من يلحق بهم ثم اختلف العلماء في المقيمين الصلاة أهم الراسخون في العلم أم غيرهم على قولين أحدهما أنهم هم وإنما نصب على
المدح والمعنى أذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته إذا تطاولت
بمدح أو ذم فربما خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحيانا ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله وربما أجروا إعراب آخره على إعراب
أوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب واستشهدوا على معنى الآية • لا يبعدن قومي الذين هم •
سم العداة وآفة الجزر • النازلين بكل معترك • والطيبون معاقد الأزر • وهذا على معنى أذكر النازلين وهم
الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاءني قومك المطعمين وهم المعينون والقول الثاني أن المقيمين الصلاة غير
الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما أنزل إليك فعلى هذا القول يكون
معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء لأنه لم يخل
شرع أحدهم عن إقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ورجح الزجاج القول
الأول واختاره ورجح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى والمؤتون الزكاة عطف على والمؤمنون لأنهم من صفتهم
والمؤمنون بالله واليوم الآخر يعني والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب أولئك يعني
من هذه الأوصاف صفته سنؤتيهم أجرا عظيما يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ثوابا عظيما
وهو الجنة قوله عز وجل إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد
يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى فأنزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فأجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال إنا أوحينا
إليك يا محمد كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده والمعنى أنكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وجميع الأنبياء المذكورين في هذه الآية

مع

وهم الاثنا عشر نبيا والمعنى أن الله تعالى أوحى إلى هؤلاء الأنبياء وأنتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحد من
هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم إنزال الكتاب جملة واحدة على أحد هؤلاء الأنبياء قادحا
في نبوته فكذلك لم يكن إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون
وإنما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لأنه أول نبي بعث بشريعة وأول نذير على الشرك وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف
وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الأرض بدعائه وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام وكان أطول الأنبياء
عمرا عاش ألف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الأنبياء من بعده جملة بقوله
تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الأنبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب والأسباط وهم أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا
يعني وآتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة
ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام
يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني إسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس
والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رأس الناس وهم يستمعون لقراءة
داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل كان ذلك أنس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن أبي موسى
الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من
مزامير آل داود زاد الحميدي عن البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير
تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء إنما لم يذكر موسى لأن الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود
ذكر من ذكر من الأنبياء في الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام ورسلا قد
قصصناهم عليك من قبل لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فأنزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه
السلام والمعنى وأوحينا إلى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك أخبارهم وإلى من بعثوا
وما ورد عليهم من قومهم ورسلا لم نقصصهم عليك أي لم نسمهم عليك ولم نعرفك أخبارهم قال أهل المعاني الذين نوه الله
بذكرهم من الأنبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر باسمه وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما يعني خاطبه مخاطبة من
غير واسطة لأن تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لأن أفعال
المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال أراد الحائط يسقط إرادة وهذا رد على من يقول إن الله خلق كلاما في محل فسمع
موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمي كل ما يوصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق لكن لا تحققه بالمصدر فإذا حقق
بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على أن موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى
الطبري بسنده عن عدة طرق عن كعب الأحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالألسنة كلها قبل كلام موسى
بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا أفهم حتى كلمه بلسانه آخر الألسنة فقال يا رب هكذا كلامك قال لو سمعت
كلامي يعني على وجهه لم تك شيئا قال موسى يا رب هل في خلقك شيء يشبه كلامك قال لا وأقرب خلقي شبها بكلامي أشد
ما يسمع من الصواعق قال بعض العلماء لما كان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك
قادحا في نبوة غيره من الأنبياء فكذلك إنزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من أنزل عليه متفرقا من
الأنبياء قوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين يعني إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده
ومنا ولئك النبيين رسلا إلى خلقي مبشرين من أطاعني واتبع أمري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين
من عصاني وخالف أمري وكذب رسلي بالعذاب الأليم في النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود إنزال الكتب جملة ولم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)